



السياحة الدينية

القطب الذي تدور حوله رحى السياحة ما بين الدول الإسلامية واستقطاب المسلمين في العالم

والسؤال هو: لماذا لم تضع الدول العربية والإسلامية السياحة الدينية ضمن أولويات خططها السياحية، خصوصاً وأنها بدأت تأخذ السياحة بشكل عام بجد غير مسبوق؟ والسياحة الدينية ثروة من أكبر الثروات السياحية على وجه الأرض، خاصة في الدول الإسلامية الغنية بمختلف الآثار، وهي كنوز و ذخيرة دائمة لا يعادلها النفط، حيث استقطبت لزيارتها الملايين من المسلمين عبر التاريخ وستستقطب مئات الملايين من المسلمين وغير المسلمين في المستقبل، ومهما تغيرت أنماط الحياة فالعقيدة ثابتة.

إن الإنسانية تبحث عن جذورها عبر القرون وخاصة في القرنين الماضيين أخذت الجامعات ومراكز البحث تبحث في كل أبوابها العلمية، والاجتماعية، والإنسانية، والدينية وتنبش الثرى للبحث عن أي معلومة تدلهم على حياة من عاشوا في تلك المنطقة وتلك الحقبة من التاريخ، وقد ازداد الآن الولع، والشوق، والرغبة في البحث وأصبحت الدول تتسابق في تخصيص الملايين لإيجاد أي معلومة تاريخية تعيد لها بعض ماضيها، مهما كلفها من جهد ومال لغرض الاستفادة منها في حقول الترويج السياحي لبلدانها.

وقد قدرت هيئة السياحة العالمية عدد السياح الذين يزورون مواقع بعينها يدفعهم الواعز الديني والعقائدي بنحو 300 إلى 350 مليون سائح سنوياً، وقدر المؤتمر العالمي الأول الخاص بالسياحة الدينية الذي عقد في تشرين الأول 2006 واردات سوق هذا النوع من صناعة السياحة بـ 18 مليار دولار سنوياً، ونحن نرى تجارب مبشرة بالخير في عالمنا الإسلامي فها هي المملكة العربية السعودية تخصص مئات الملايين لإبراز معالمها التاريخية، مثل معالم وقبور مدائن صالح، التي كانت بمثابة العاصمة

والأجيال لتكون مناراً للهدى وتذكيراً برجالات الإخلاص والטהير، فقد ورد في تكميم أهل الكهف، قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا) _ (سورة الكهف/21).

وما يكشف لنا أهمية الآثار والمعالم التاريخية ما ورد في أحاديث الإسراء والمعراج أنه كان من برامج تلك الرحلة جَولَ النبي (ص) وزيارته لمواقع الأنبياء السابقين حيث ورد أنه نزل في رحلة المعراج في (الدينة) و (طور سيناء) و (بيت لحم) و صلى فيها، فقال له جبرائيل: يا رسول الله أتعلم أين صليت؟ إنك صليت في "طبيه" وإليها مهاجرتك و صليت في "طور سيناء" حيث كلم الله موسى تكليماً، و صليت في "بيت لحم" حيث ولد عيسى.

من هذا المنطلق كانت الأجيال المؤمنة تتوارث الإهتمام والإحترام بمراقد ومساكن الأنبياء والأولياء، تدفعهم إلى ذلك الفطرة والوجدان كما يحثهم الدين والعقل على الإهتمام بالتاريخ وحفظ معالمه وأثاره.

لقد بدأت مفاهيم السياحة الدينية تتبلور بعد صدور مجلة السياحة الإسلامية وموقعها الإلكتروني، ومنهما كان انتشار هذا المفهوم، والمصطلح الجديد والغريب في وقته، ودارت حوله الكثير من التساؤلات في بادئ الأمر، فبدأت المعارض والنشاطات السياحية والجامعات تبحث وتحلل معاني السياحة الإسلامية، وتتابع أبعادها الإنسانية وتقيم كل جانب من جوانب هذه المعاني والأفاق، وخاصة البحث في أهمية السياحة الدينية وأبعادها التاريخية وزخم حركتها ومردوداتها الاقتصادية، وكان هناك إجماع من المهتمين والمتخصصين بهذا الموضوع على أهميته وألويته وتعدد منافعه وبكل المقاييس.

ان الحج والعمرة والزيارات إلى مقامات الأنبياء ومراقد الأئمة والأولياء الصالحين والمناسبات الدينية، وعبر التاريخ، هو المحرك للشعوب الإسلامية لتخرج من دوامة حياتها ومدنها وتتوجه إلى الترويح عن النفس المتعبة، وبعد أداء الصلاة أو الزيارة المقصودة ترتاح النفوس وتتمتع بمباهج الحياة الملتزمة وفق القيم الإسلامية والإنسانية، ولا بد من أن نعطي الأمثلة والوقائع لكي يطلع عليها من لا يعرفها من غير المسلمين، أما المسلمون فلا بد لهم من معرفتها حتى وإن لم يمارسوها، فهناك أولاً بيت الله الحرام الذي يزار لأداء فريضتي الحج والعمرة وزيارة المدينة المنورة التي فيها قبر الرسول الأعظم، نبينا محمد صلوات الله عليه وآله وسلم، وهناك المسجد الأقصى في القدس الشريف الذي بارك الله من حوله، ومزارات الأنبياء عليهم أفضل السلام، نذكر منهم: آدم وشيث ويونس وجرجيس ونوح وهود وصالح وذي الكفل في العراق والنبي إبراهيم في الأردن، وهناك مراقد الأئمة من آل بيت النبوة في النجف الأشرف وكربلاء والكاظمية وسامراء ومشهد، وأئمة المذاهب الإسلامية، مثل مسجد ومرقد الإمام أبي حنيفة النعمان في منطقة الأعظمية في بغداد، وباقي مراقد الصحابة رضوان الله عليهم، والأولياء الصالحين، الذين حملوا رسالة الإسلام إلى أركان المعمورة والموزعة في أنحاء العالم الإسلامي من المحيط الأطلسي غرباً إلى أقصى آسيا في الشرق وجنوباً إلى مناطق إفريقيا وفي دول وبقاع أخرى من العالم.

إن المساجد وأضرحة الأئمة والصحابة والأولياء الصالحين تزخر بالعطاء الروحي وتشع بالإيمان والتضحية في سبيل الإسلام.

من جهة ثانية يؤكد القرآن الكريم بوضوح على أن الله تعالى يريد للأماكن والبيوت التي يقطنها الأنبياء والصالحون أن تشيد وتخلد عبر القرون

الجنوبية للحضارة النبطية والمدنية الشقيقة للبتراء في الأردن. وكذلك إهتمام المملكة بمنطقة الدرعية التاريخية التي نشأت منها الدولة السعودية وحلفها التاريخي مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي تم بتاريخ (1158 - 1744م). فقد خصصت مئات الملايين من الدولارات. وعلى مراحل ثلاث لإعادة إحياء هذه المدينة المبنية أصلاً من الطين. وشرع المسؤولون في شق الطرق وإعداد وسائل النقل وبناء الفنادق وغيرها من الإستثمارات اللازمة لاستقبال السياح.

ولازال هناك الكثير من المواقع وأنواع السياحات التي يتحدث عنها المسؤولون. الأسئلة الكبيرة، هي: لمن تعد هذه المواقع السياحية؟ وكم عدد الزوار الأجانب المتوقع زيارتهم؟ وما هي كلف إدارة هذه المواقع وكلف العناية بالسياح وحمايتهم؟ وما هي الانطباعات التي سينقلونها لأوطانهم؟ وما هو المردود الاقتصادي والإعلامي؟ والأهم هو ما المردود الفكري والروحي منها للمسلمين أينما كانوا؟ ونحن نرى تجارب ناجحة لدول كمصر، وسوريا، والأردن التي نجحت في توظيف ما لديها من مواقع أثرية وتاريخية إسلامية لتجعل منها حلاً يرغب الجميع في رؤيته. نذكر على سبيل المثال لا الحصر مسجد الحسين (ع) في مصر الذي يعد من أبرز معالم القاهرة، وعلى مقربة منه مقام السيدة زينب (ع). ومقام ومزار محمد بن أبي بكر (رض). ومالك الأشتر (رض). وهناك في سوريا مقامات شهيرة للسيدة زينب (ع) والسيدة رقية بنت الإمام الحسين (ع). والنبي يحيى (ع) في جامع دمشق. والعديد من صحابة النبي (ص) مثل عمار بن ياسر (رض). وفي الأردن مقامات جعفر بن أبي طالب الطيار بجناحيه في الجنة وعبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

لا بد أن تكون السياحة الدينية والسياحات الأخرى الملتزمة بالقيم الإسلامية والإنسانية هي الطريق. لأن البديل عنها هو ما نراه من الانحلال المنتشر كالوباء في دول لا نريد تسميتها. وأحياناً تصاب بالعدوى دول ومناطق لطالما اعتبرت محصنة لكن التيار جارف يجتاحها. إن لم يكن الوعي حاضراً. والرقب واعياً. والدين رادعاً. ومثل ذلك ما أعلنت عنه شرطة إحدى دول الخليج العربي من ضبطها شبكة تضم المئات من المشتبهين في 22 موقعا تضم مختلف الجنسيات، يمارسون أعمالاً لا تتناسب مع الخلق. أو الدين. وقيم الإنسانية. تحت مسميات السياحة والترفيه. لكن حقيقته الإجبار بالبشر. والكسب غير المشروع. وإذلال الإنسان الذي كرمه الله جل وعلا.

السؤال المطروح هو أي سياحة نشد؟

لدينا ذخيرة سياحية لا تنضب وهي السياحة الدينية النابعة من عقيدتنا والسياحات الأخرى التي لا تعارض مع عقيدتنا وثقافتنا والتي عادة ما تنتعش وتزدهر جنباً إلى جنب مع السياحة الدينية كالسياحة الطبيعية. والسياحة التراثية المرتبطة بثقافة البلد. والسياحة الريفية. وأنواع أخرى كثيرة من السياحات التي يمكن أن تندرج في مسمى عام هو السياحة الثقافية. فهل أن الأوان لإعطائها وإعطاء شعوبنا حقها في الاهتمام والرعاية بها لنباهي بها الأمم وتكون مصدر رفاية لبلداننا وتقديراً واحتراماً لتاريخنا؟

إننا ندعو أن تسخر مقاصد وأهداف السياحة لخدمة البلاد والعباد. بأهداف وفوائد سامية. فهناك فائدة الترفيه وتفریح الهم. فرما يصاب الإنسان في بلاده بالهم والغم ويتلى بمصيبة ويكون السفر خير علاج له. واكتساب المعيشة. كما في السياحة التجارية. وتخصيل العلم. فقد جاء في الحديث: "أطلب العلم ولو بالصين". وتعلم الآداب. فعندما يسافر الإنسان يتعرف على تقاليد وثقافات بلدان أخرى.

إن خير من يمكنه أن يرفع علم السياحة الإسلامية ويرشد وينير طريقها هي الملكة العربية السعودية. لما لأراضيها من حضوة خصها الله بها فجعل الكعبة قبله المسلمين في الأرض. وأرضها مهبط الرسالة الحمديّة. وفيها مواقع وتاريخ ومقابر الصفوة من أهل بيته والصحابة الأبرار ومن والأهم وتبعهم عبر الأجيال. فأى ذخيرة تمتلكها الملكة وبقية الدول الإسلامية فيما لو أعيد ترميمها. كالبقيع وغيرها من المواقع الإسلامية. وأعدت البرامج السياحية التي تشمل السياحة الدينية جنباً إلى جنب مع السياحات التي يرغب السياح التوجه لها؟

إن العمل على إعادة بناء البقيع له فوائد أعم وأشمل يتمثل ببناء وحدة المسلمين وسوف تكون الملكة العربية السعودية حقا حاضنة ليس لبيت الله في مكة و قبر الرسول الأعظم في المدينة فقط بل حاضنة وراعية لتاريخ المسلمين بكل طوائفهم وأختلافاتهم الفقهيّة. ورفض كل الإفتاءات التكفيرية التي تدعو إلى القتل وتخريب المساجد. والأضرحة. والمزارات. وقبور الأولياء وكل ما يدعو إلى التفرقة. فلنتعظ بالعراق. حيث أنه لم يكن القتل وهدم الأضرحة في سامراء والمناطق الأخرى وبيوت الله. هدماً خاصاً بالعراق أو بهذه الطائفة أو تلك بل كان هدماً ونكراناً للقيم الإسلامية بكل معانيها وخسارةً باهضة للجميع أتقدم إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز. وإلى فقهاء المملكة. وإلى كل عضو من أعضاء الحكومة وخاصة الهيئات

التي تعمل ليل نهار لإبراز المعالم السياحية للمملكة من أن يعملوا في سبيل نشر ثقافة السياحة الإسلامية بكل أبعادها الدينية. والتاريخية. والحضارية. ليعطوا المثل الأعلى لتميز السياحة وفق القيم الإسلامية والإنسانية. كما أدعو المسؤولين لإنشاء مراكز البحوث الفقهيّة لكافة الطوائف الإسلامية لتساهم في إزالة العوائق والفوارق الإجتهدية التي تعيق التواصل ما بين الطوائف الإسلامية وشعوبها. ونتمنى أن يكون موضوع إعادة قبور البقيع وإعطاء مفاهيم قدسية وحرمة قبور المؤمنين من المسلمين وأناهم مكانتها وألوبيتها. إن احترامنا لتاريخنا وتاريخ حماة العقيدة والسلف الصالح يوجب احترام العالم لنا. والعكس بالعكس. وهذا لا يتنافى مع عقيدتنا بوحديّة الله سبحانه وتعالى الذي شرف الإنسان بالعقل والإيمان به وجعل الشهداء أحياءاً في حياتهم وماتهم يقول تعالى في محكم كتابه وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْفَقُونَ (آل عمران/169). وإن إحياء ذكراهم وتعمير قبورهم ما هو إلا لرضاء الله وتقرباً إليه.

أخيراً ما كنت لأخوض في هذا الشأن لولا إيماني بالله جل جلاله. وللتكريم الذي لقيته من المسؤولين في المملكة وعلى رأسهم الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز أمير منطقة عسير الذي منح درع عسير لخدمة السياحة الإسلامية تقديراً لجهود أجلة لخدمة السياحة بمنطقة عسير وتعاونها مع اللجنة السياحية بالغرفة التجارية الصناعية بأبها. وكذلك الدعوة الكريمة الأخيرة التي وجهت لي من قبل سفير المملكة السعودية في لندن نيابة عن الهيئة العامة للسياحة لزيارة المملكة ضمن الوفد البريطاني وقد استغرقت ثمانية أيام لقيت فيها كل الترحيب وكرم الضيافة. إن دل هذا على شيء فإنه يدل على أن المملكة السعودية وراكبت مجلة السياحة الإسلامية وموقعها الإلكتروني منذ صدور العدد الأول. وقد كانت موضع تقدير واحترام لرسالتها الإسلامية والإنسانية النقية التي وضعت أسسها من اليوم الأول. وتعرف أن مجلة والموقع الإلكتروني بعيدان كل البعد عن التيارات والأهواء والأطماع سوى مرضاة الله عز وجل.

فلنعمل جميعاً من أجل نشر ثقافة السياحة الإسلامية بكل ألوانها. وجعل السياحة الدينية حجر الزاوية والمحض لباقي أنواع السياحات. ليتعرف جيلنا والأجيال الصاعدة على معالم وتاريخ بلدانهم وبلدان العالم. وبذلك تنتشر رايات وأناشيد السلام والمحبة بين المسلمين بل وما بين الأمم كافة.

والله ولي التوفيق.

عبد الوهاب الشاذلي